المكتبة الاشتراكية

ل. سيغال

لمحة عن تطور المجتمع منذ بدء التاريخ

دار دمشق للطباعة والنشر

إهـــــــداء

الى روح المرحوم الطاهرة

محـــــمد عابد الجابري

نهدي هاته النسخة الالكترونية



Brahim El Harram et Zouhair Taghia

Sociologie S6 - Univ Ibn Tofail

2012- 04-04

Kénitra

طبعات « دار دمشق » من هذا الكتاب

الطبعة الاولى ١٩٦٢

الطبعة الثانية مراجعة ومنقحة ١٩٦٩

الطبعة الثالثة ١٩٧١

الطبعة الرابعة ١٩٧٣

الطبعة الخامسة ١٩٧٤

الطبعة السادسة ١٩٧٨

اشتهر الاقتصادي السوفياتي سيفال في أنحاء العالم في العقد الخامس من القرن العشرين بكتابه عن « مبادىء الاقتصاد السياسي » الذي أوضح فيه القوانين الاقتصادية لتطور المجتمع . وقد نقلنا هذا الفصل من كتابه الذي درس فيه ، بدقة وبساطة عمليتين ، المراحل المختلفة التي مرت بها الانسانية أثناء تطورها من أول عصور التاريخ الى يومنا هذا ، على ضوء مبادىء الشيوعية العلمية التي استنبطها ماركس وانجلز .

●

وقد عمدنا في هذه الطبعة الخامسة المراجعة المنقحة ، الى ذكر المصادر المشار اليها في حواشي الصفحات في طبعاتها العربية أن وجدت ، وذلك تسهيلا للمطالع العربي الراغب في التوسع بالدراسة . الا اننا لم نعتمد النصوص المستشهد بها كما وردت في الطبعات العربية من الكتب المشار اليها ، بل اعيدت ترجمة هذه النصوص عن اللغة الاجنبية ، طلبا للدقة . كما أضفنا بعض الحواشي التوضيحية ، أشير اليها بعبارة : (المراجع) ، في نهاية كل منها .

المكتبة الاشتراكية

ل. سيغال

لمحة عن
تطور المجتمع منذ بدء التاريخ

- المشاعية البدائية
- نظام الرق
- الاقطاعية
- الراسمالية
- الاشتراكية



توطئــة

لايستطيع اي مجتمع أن يعيش ويتطور دون أن ينتج الاشياء الضرورية للحياة ، على كافة أنواعها . غير ان وسائل العيش لاتوجد جاهزة في الطبيعة ، وعلى الانسان ان يوجدها لنفسه بعلمه . وعندماينتج الانسان الاشياء الضرورية للاستعمال، يحدث تغييرا في المادة الطبيعية ، ويحولها ويكيفها وفق حاجاته . ان الانتاج بهذا المعنى هو فعل الانسان في الطبيعة . ولكن الانسان لايعيش ولاينتج بصفته فردا منعزلا ، بل يفعل ذلك بصفته عضوا في المجتمع . واذن فان عملية الانتاج تفرض وجود علاقة معينة ، لابين الانسان والطبيعة فحسب ، بل بين الناس بعضهم مع بعض ، ايضا .

ولنأخذ على سبيل المثال مصنع نسيج. فالقطن وهو المادة الطبيعية يحول في هذا المصنع بواسطة الات ليست بدورها إلا قوةطبيعيةكيّفها وسيطر عليها الانسان . ولكننا نلاحظ ، عدا ذلك ، ان في هذا المصنع علاقات معينة بين الناس : بين العمال الذين لايملكون وسائل الانتاج من جهة ، وبين الراسمالي الذي يملك هذه الوسائل ويستغل العمال ، من جهة أخرى .ولنأخذ الان مصنع نسيج اشتراكيا . فالقطن فيه ايضا ، يخضع لذات

طرق التحويل والصنع ، ويجري ذلك على آلات مماثلة لآلات المصنع الراسمالي ، والعمال العاملون فيه يملكون ذات اختصاص عمال المصنع الراسمالي ، ولكن العلاقات بين الناس في عملية الانتاج فيه ، مختلفة تمام الاختلاف عنها هناك . فوسائل الانتاج لم تعد قط ملكا للراسمالي ، بل هي ملك لمجموع الطبقة العاملة ، واذن ، فليس هنا استغلال ابدا(١) . ان

---

(١) لا يصح الاستنتاج بانه لا يحدث استغلال أبدا لمجرد أن المصنع صار ملكا لمجموع الطبقة العاملة ، أي لمجرد تحويل ملكية وسائل الانتاج من ملكية خاصة الى ملكية اجتماعية . وان ما يقوله المؤلف في المقطع اللاحق ، حيث يشير الى ادارة المصنع « وفق المخطط الذي تضعه الدولة البروليتارية » يساعد على ادراك هذا الامر الهام . أما اذا كان المصنع ملكا للطبقة العاملة وكان أسلوب الادارة فيه غير بروليتاري ، أو اذا كانت الدولة غير بروليتارية ، فان الاستغلال واقع حتما بشكل أو بآخر .

وان مجرد تحويل الملكية الى ملكية عامة (ملكية الدولة أو ملكية الشعب بأسره) لا يعني قط اقامة علاقات الانتاج الاشتراكية . أما استيلاء الطبقة العاملة على سلطة الدولة وعلى الادارة الاقتصادية ، فليس هو الآخر الا نقطة الانطلاق في اقامة علاقات الانتاج الاشتراكية . ولما كان المجتمع الجديد يخرج من صلب المجتمع القديم ، ولما كانت علاقات الانتاج الاشتراكية والاخلاق الاشتراكية بناء يبنيه الكادحون بنشاطهم الواعي ، فمن الممكن تماما أن تتواجد سمات رأسمالية استغلالية ضمن المجتمع الذي يبني الاشتراكية ، بل ولا مناص من ذلك . وما دامت بعض هذه السمات باقية فيه ، فلا يمكن القول أن هذا المجتمع قد أتم التحويل الاشتراكي وأن الاستغلال قد انتفى منه .

وقد أثبتت التجربة التاريخية في البلدان الاشتراكية كافة ، خطورة السمات الرأسمالية الاستغلالية التي تبقى في المجتمع وفي الادارة الاقتصادية وفي الدولة بعد اجراء التحويل في ملكية وسائل الانتاج . (المراجع)

مدير المصنع الاشتراكي الذي يدير المشروع الاشتراكي ليس مالكا له ، بل هو موظف لدى الدولة البروليتارية ، مكلف بادارة الانتاج وفق مخطط تضعه الدولة البروليتارية . يختلف هنا تنظيم العمل عن تنظيمه في المصنع الراسمالي ، ويقف العمال من العمل موقفا يختلف تماما عن موقفهم منه في المصنع الراسمالي . ونرى من هذا، ان الشكل الاجتماعي للانتاج ، وكذلك العلاقات بين الناس ، تختلف في النظام الراسمالي اختلافا تاما عما هي عليه في النظام الاشتراكي . ان العلاقات بين الناس في عملية الانتاج الاجتماعي تسمى علاقات الانتاج . ولقد تغيرت علاقات الانتاج خلال التطور التاريخي للمجتمع الانساني ، كما تغيرت الاشكال الاجتماعية للانتاج .

لقد كانت هذه الاشكال الاجتماعية هي : المشاعية البدائية، نظام الرق ، الاقطاعية ، الراسمالية . واليوم يجري في الاتحاد السوفياتي الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية فالشيوعية ، انتقالا دشنت عهده ثورة تشرين (اكتوبر) ١٩١٧ ، وتم فيه انتصار الشكل الاشتراكي للانتاج .

١ ـ المشاعية البدائية

لقد وجد هذا الشكل الاجتماعي للانتاج ، خلال آلاف عديدة من السنين ، لدى جميع الشعوب في اوغل عهود تطور

المجتمع البشري في التاخر ، ومن تلك الحقبة بدأ تطور المجتمع. كان الناس يعيشون اذ ذاك في حالة التوحش ، يقتاتون بما يجدونه في الطبيعة من نباتات صالحة مباشرة للاستهلاك ، كالخضار والفواكه البرية والجوز . ثم جاء اكتشاف النار ، فكان كبير الاثر جدا ، اذ سمح بايجاد مصادر جديدة للغذاء ، فصار الناس يتغذون بالسمك والسرطانات وبعض الحيوانات المائية الاخرى .

كانت العصا ، والحجارة غير المنحوتة ، اولى الادوات التي استعملها البشر ، ثم جاء اختراع الرمح الحجري المسنون الرفيع، ومن بعده السهام الحجرية ، فهيأ للناس نتاجا غذائيا جديدا هو لحم الحيوانات ، فصار القنص ، الى جانب البحث عن الاغذية النباتية وصيد الاسماك ، احدى وسائل الحياة . وقد خطا الانسان بعد ذلك خطوة كبيرة الى الامام ، حين استعمل الادوات المصنوعة من الحجر المنحوت ، وهي التي سمحت بمعالجة الخشب كي تبنى منه المساكن .

ومهما يكن من عظمة كل هذا التطور الذي قاد الانسان خلال آلاف السنين من الحياة شبه الحيوانية ، الى حياة الانسان الذي يعرف كيف يصنع فأسا من الحجر ، وكيف يبني مسكنا ، فان الناس بقوا مع ذلك ضعافا الى اقصى حد في الكفاح ضد قوى الطبيعة . وكان هذا الضعف يبدو على الاخص في عدم استقرار مصادر الغذاء وعدم دوامها . لقد كان الناس تحت رحمة الصدف،

غير واثقين من انهم سيجدون دائما صيدا ومنتوجات نباتية . ولم يكن في امكانهم ان يحلموا بادخار بعض القوت ، في وقت يضطرهم ان يجدوا يوما فيوما مايتغذون به ، دون ان يستشعروا بأية طمأنينة على غدهم .

وكان البشر ضمن هذه الظروف مبعثرين بالضرورة : فالغذاء الذي كان يمكن بعد جهد ان يستخرج من ارض ما ، لم يكن يكفي للقيام بأود كثافة اكبر من السكان .

وكان البشر يعيشون اذ ذاك مجتمعين في قبائل مؤلفة من « بطون » متعددة . وكانت هذه « البطون » التي تضم مئات من الناس ، تشمل عائلات كبيرة تجمعها صلات القربى . اما التملك الخاص لادوات الانتاج فلم يكن موجودا ، وكان اقتصاد « البطن » يدار بصورة مشتركة ، تعاونية : أي انهم كانوا يقومون بصورة مشتركة بالقنص والصيد ، وبتهيئة الغذاء واستهلاكه . وكانت المساكن ذاتها مشتركة . ويذكر انجلز في كتابه « أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة » مثال بعض جزر المحيط الهادي حيث يعيش حوالي ٧٠٠ من الناس ، بل قبائل كاملة في بعض الاحيان ، تحت سقف واحد ، وفي اقتصاد مشترك .

لقد كان هذا النظام المشاعي البدائي ضروريا للمجتمع الانساني ، في تلك المرحلة من التطور . فلقد كان من المستحيل على المجتمع ، لو عاش افراده حياة منعزلة مبعثرة ، ان يخترع الاسلحة والادوات البدائية ، وان يحسنها فيما بعد . ولم يستطع

الناس ان يحرزوا انتصاراتهم الاولى في ميدان الكفاح ضد الطبيعة ، الا بفضل حياتهم التعاونية . لقد كان اتحادهم في « بطن » مشاعي ، هو قوتهم الرئيسية .

لم يكن استغلال انسان لانسان آخر موجودا في المجتمع المشاعي البدائي ، بل لم يكن هذا الاستغلال ممكنا فيه . لقد كان العمل مقسما بين الرجل والمراة ، وكان في القبيلة افراد اقوى من غيرهم وافراد اضعف ، ولكن لم يكن هناك استغلال .

ليس الاستغلال ممكنا ، الا اذا استطاع الانسان ان ينتج من وسائل الحياة ، مايكفي له ، وللآخرين ايضا . فبهذا الشرط وحده ، يمكن لفرد ان يعيش عالة على عمل الآخرين . ولم يكن من الممكن والحالة هذه ، ان يوجد في المجتمع البدائي ، المجبر على تدارك رزقه يوما فيوما ، أي استغلال ، وهو المجتمع الذي لم يكن يستطيع ان ينتج الا الضروري الصرف من الاشياء . اما الاسرى الذين كانت القبائل تحصل عليهم في الحرب ، فكانوا يقتلون — ويؤكلون احيانا — او يقبلون أعضاء في القبيلة الآسرة ..

لقد كان مستوى تطور قوى المجتمع المنتجة هو الذي يحدد ظروف النظام المشاعي البدائي . ومن الخطأ التصور ان الناس البدائيين هم الذين اوجدوا هذا النظام عن وعي منهم ، فلقد تشكل وتطور بصورة طبيعية ، ودون علاقة بارادة الناس أووعيهم .

« ان الناس ، اثناء الاجتماع لمعيشتهم ، يقيمون فيما بينهم علاقات معينة ، ضرورية ، مستقلة عن ارادتهم . وتطابق علاقات الانتاج هذه درجة معينة من تطور قواهم المنتجة المادية »(١) .

ولقد جاء التطور الذي حدث بعد ذلك في قوى المجتمع البدائي المنتجة ــ كتحسين الادوات الموجودة ، واختراع ادوات جديدة ، وظهور تربية المواشي ، والزراعة ،واستعمال الفلزات ــ فادى الى حدوث تغيير في علاقات الانتاج وتفسخت المشاعية البدائية وفقا لذات الضرورة الطبيعية التي أوجدتها ،واخلت المكان امام مجتمع الطبقات .

انحلال المشاعية البدائية

كان تدجين الحيوانات : وحلول تربية المواشي محل قنصها ، العامل الذي فتح عهد تفسخ نظام المشاعية البدائية . فقد عرفت القبائل ، التي كانت تعيش في اراض غنية بالمراعي ، تربية المواشي للمرة الاولى (وكان ذلك على الاخص على ضفاف

(١) كارل ماركس : « مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي » ، المقدمة ــ الطبعة العربية : مجموعة « دراسات اقتصادية » لماركس وانجلز ، دار دمشق ، ١٦٤ ، ص ٥٢ .

الانهار الكبرى ، في جنوبي غربي آسية ، والهند ، واحواض آموداريا وسيرداريا ــ آسية الوسطى السوفياتية ، ودجلة والفرات) . واضحت تربية المواشي بالنسبة لهذه القبائل مصدرا ثابتا للحليب واللحم والجلود والصوف . فكانت قبائل الرعاة بذلك تملك من الاشياء المعدة للاستعمال ما كانت القبائل الاخرى ــ التي لاتربي المواشي ــ محرومة منه . واذن فقد سجل ادخال تربية المواشي أول تقسيم اجتماعي للعمل . وقبل ذلك . كانت المقايضة بين القبائل المختلفة ترتدي طابعا عارضا ووليد الصدفة المحضة ، ولم يكن لها في حياة القبائل والبطون اي دور . ولكن تقسيم العمل بين قبائل الرعاة والقبائل الاخرى ، دشن عهد المقايضة المنظمة فيما بينها .

ثم كانت ثاني خطوة الى الامام في تطور القوة المنتجة :ظهور الزراعة (زراعة البساتين اول الامر ، ثم النباتية . وقد أدى اختراع نول الحياكة الذي يرجع الى زراعة الحبوب فيما بعد) ، فلقد خلقت مصادر دائمة للاغذية النباتية وقد ادى اختراع نول الحياكة الذي يرجع الى هذا العهد ايضا ، الى امكان نسج الاقمشة والثياب الصوفية ، وتعلم الناس بعد ذلك ان يصهروا الفلزات المعدنية كالنحاس والرصاص (اما استخراج الحديد . فقد اكتشف فيما بعد) ، وان يصنعوا ادوات واسلحة وأواني من البرونز(١) .

(١) البرونز : خليطة من النحاس والقصدير ، شديدة الصلابة ، ولعل اقرب كلمة عربية تقابلها بالمعنى : القلز (بضم القاف واللام وتشديد الزاي) . (المراجع)

أول انقسام للمجتمع الى طبقات

وقد كان من اثر هذا كله ، ان زادت على مقياس واسع ، انتاجية العمل ، وسيطرة الانسان على الطبيعة واطمئنانه لغده . ولكن هذه القوى المنتجة الجديدة للمجتمع كانت قد تجاوزت حدود المشاعية البدائية .

« ان نمو الانتاج في جميع فروعه ـ تربية المواشي ، والزراعة ، والانوال المنزلية ـ اعطى قوة العمل الانسانية القدرة على خلق كمية من المنتجات اكثر مما يجب للقيام بأود الانسان ، وزاد في الوقت ذاته مجموع العمل اليومي الذي يقع على عاتق كل فرد من افراد العشيرة ، أو المشاعية المنزلية ، أو الاسرة المنعزلة . فصار من المرغوب فيه ضم قوى عمل جديدة ، فقدمتها الحروب ، وهكذا حول أسرى الحرب الى عبيد ... لقد ولد من اول تقسيم اجتماعي كبير للعمل ، اول انقسام كبير للمجتمع الى طبقتين : أسياد وعبيد مستغلين ومستغلين »(١) . كان العبيد اناسا غرباء عن « البطن » ولايشكلون جزءا منه . ولكن تطور القوى المنتجة

(١) فريدريك انجلز : « أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة » ـ الطبعة العربية : دار الفارابي ودار الكتاب العربي ، دمشق ، ١٩٥٨ ، ص ٢٥٤ .

وظهور الرق ادى الى عدم التساوي بين اعضاء « البطن » ذاته ، وبالدرجة الاولى بين الرجل والمراة .

« كان الكسب دائما عمل الرجل ، وهو الذي يصنع ويملك الوسائل الضرورية لهذا الكسب . وكانت قطعان المواشي هي وسيلة الربح الجديدة ، ولذلك كان تدجينها اولا ، وحراستها ثانيا ، عمل الرجل ، ولهذا كانت بالتالي ملكا له ويعود اليه مايحصل عليه مقابلها من سلع وعبيد . كان كل مايأتي به الانتاج آنئذ من ربح يعود الى الرجل ، وكانت المراة تتمتع به معه . ولكن دون ان تكون لها أية حصة في ملكيته »(١) .

وفيما بعد ، ظهر عدم التساوي بين رؤساء الاسر المختلفة ، وساعد عليه ما نتج عن التقسيم المتزايد للعمل من جراء تطور المقايضة . وجاء استعمال الحديد فزاد في تنوع الادوات والاشياء المستعملة ، واتسعت الزراعة كذلك بفضل ادخال المحراث ذي السكة الفلزية ، فأضيفت الى الحبوب مزروعات أخرى .

« ولم يعد ممكنا بعد هذا ان يقوم الفرد نفسه بعمل بلغ هذا المبلغ من التنوع ، فحل اذ ذاك ثاني تقسيم كبير للعمل : فانفصل العمل الحرفي عن الزراعة »(٢) .

(١) انجلز : المصدر السابق ، ص ٢٥٥ .

(٢) انجلز : المصدر السابق ، ص ٢٥٨ .

والى جانب الفارق بين الاحرار والعبيد نشأت فوارق جديدة بين الاغنياء والفقراء – فمع هذا التقسيم الجديد للعمل نشأ انقسام جديد للمجتمع الى طبقات . ان الفوارق في الملكية بين رؤساء الاسر الفردية قد فسخت المشاعية المنزلية القديمة حيث كانت لاتزال قائمة ، وانحل معها العمل المشترك في الارض لحساب هذه المشاعية ، ومنحت الاسر الخاصة الارض القابلة للزراعة ، لمدة محدودة أول الامر ، ثم صارت ملكا لها الى الابد »(١) .

وهكذا تم الانتقال الى الملكية الخاصة .

وقد ادت كثافة السكان المتعاظمة الناشئة عن انتاجية العمل المتعاظمة ، وعن تزايد الروابط بين مختلف القبائل الى دمج البطون والقبائل ، شيئا فشيئا ، في شعوب . ونجد من جهة اخرى ، ان تفسخ المشاعية البدائية ، والتفاوت المتزايد بين اعضائها ، وعلى الاخص استخدام عمل العبيد على نطاق عام . كل ذلك أدى الى تشكيل الدولة كجهاز سيطرة من الطبقة المستغِلة على الطبقة المستغَلة .

لقد تفسخ نظام المشاعية البدائية تحت ضغط القوى المنتجة التي أوجدها ، وافسح المكان لمجتمع جديد منقسم الى طبقات .

---

(١) انجلز : المصدر السابق ، ص ٢٥٨ .

يزعم أعداء الشيوعية ، ان مجتمع المشاعية البدائية لم يوجد قط ، على دعواهم ، وان الملكية الخاصة وانقسام المجتمع الى طبقات ، كانا موجودين منذ وجد المجتمع . ويسعى هؤلاء جهدهم ليظهروا ان الملكية الخاصة لاتنفصل عن طبيعة الانسان ذاتها ، وانه لايمكن لملكية من نوع آخر ان توجد ، وان المجتمع كان دائما منقسماً الى طبقات وان مجتمعا دون طبقات هو فرضية لايمكن تصورها . ان انكار وجود المشاعية البدائية هو من مصلحة البرجوازية وعملائها ، في نضالهم ضد الشيوعية الحديثة .

ولقد برهن ماركس وانجلز منذ ١٩٤٥ (في كتاب «الفكر الالماني») ان المشاعية البدائية كانت الشكل الاول للمجتمع . ثم وصل العالم الاميركي موغان بعد ذلك بثلاثين سنة (في ١٨٧٧) ، وبصورة مستقلة عن ابحاث ماركس وانجلز ، الى النتيجة ذاتها ، بعد ان درس مطولا القبائل المتوحشة وشبه المتوحشة في اميركة وجزر المحيط الهادي . ولاتزال بقايا المشاعية البدائية موجودة حتى ايامنا هذه لدى عدد من الشعوب في شكل مشاعية زراعية ، تملك الجماعات الزراعية فيها الارض ملكا مشتركا ، وتوزع حصصا منها على اعضائها للتصرف بها بصورة مؤقتة . وليس يمكن بعد هذا ان يوضع موضع الشك ، وجود المشاعية البدائية كنقطة بدء في تطور الشعوب كلها .

ولنبحث الان في نظام الرق الذي نشأ على انقاض المشاعية **البدائية** .

٢ ـ نظام الرق

لم يكن عمل العبيد في بداية هذا النظام ، شائعا على نطاق واسع . فكانت هناك ، الى جانب الاسر التي تستخدم هذه اليد العاملة ، اسر كثيرة تكتفي بقوى عملها الاسرية الخاصة . ولكن لما تطورت المبادلة ، وظهر النقد ، ازالت الاستثمارات الكبيرة ،التي كانت تستخدم جهد العبيد ، الاستثمارات الصغيرة . واليك كيف تم هذا النهج .

ادى ازدياد تقسيم العمل والتبادل ، الى نشوء التجارة ، وطبقة التجار الذين يشترون البضائع ويبيعونها . وكان هذا كما قال انجلز « ثالث تقسيم للعمل ، ذي اهمية حاسمة » . فان التجار كانوا يستفيدون من عزلة المنتجين الصغار عن السوق ، فيشترون منهم السلع باسعار بخسة ، ويعاودون بيعها باسعار اعلى ، فكانوا بهذا الشكل يستغلون المنتجين والمستهلكين في وقت واحد . ثم كان من نتيجة نمو الانتاج السلعي والتبادل النقدي ، من جهة اخرى ، ان « جاء اقراض المال بعد شراء السلع به ، وجاءت معه الفائدة والمراباة »(١) .

ان راس المال الربائي يكبل المنتجين الصغار ـ الفلاحين والحرفيين ـ ويستعبدهم عن طريق الديون . ففي اليونان

---

(١) انجلز : « اصل العائلة » ، ص ٢٦٢ .

القديمة ، وفي روما ، وقع اكثر المنتجين الصغار في حقبة قصيرة من الزمن في عبودية المرابين . وقد كان الصراع بين المرابين وبين مدينيهم ، الشكل الرئيسي للصراع الطبقي بين السكان الاحرار .

« كان الصراع الطبقي ، في المجتمع القديم ، وبالدرجة الاولى ، صراعا بين الدائنين والمدينين ، وقد انتهى في روما الى زوال المدين من طبقة العامة وتحوله الى عبد »(١) وقد ادى هذا الصراع الى خراب المنتجين الصغار وتحولهم الى بروليتاريين . ولكن هؤلاء في روما القديمة ، لم يكونوا بروليتاريين بالمعنى الحديث للكلمة ، ولم يكونوا ايضا عمالا ، انهم جماعة من المعدمين لاغير(٢) . وقد احتكر كبار الملاكين العقاريين اراضي الفلاحين الذين اصابهم

---

(١) ماركس : « رأس المال » ، الكتاب الاول ـ طبعة دار اليقظة العربية ، دمشق ، ١٩٥٨ ، الجزء ١ ، ص ٢٠٠ طبعة مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٥٦ ، الجزء ١ ، القسم ١ ، ص ١٨٠ .

(٢) « بروليتاريا » كلمة مشتقة من لفظ « النسل » باللغة اللاتينية ، كانت تطلق في التشريع الروماني على أدنى طبقة من المواطنين في مجتمع روما القديمة ، والتي كانوا يعتبرون أنها لا تفيد الدولة الا بانتاج النسل وأن الدولة مضطرة لاعالتها لهذه الغاية . ولم تكن هذه الطبقة على العموم منتجة بل كانت معدمة ومعيشتها عالة على المجتمع . أما الطبقة المنتجة الكادحة آنذاك فكانت طبقة العبيد .

أما البروليتاريا الحديثة ، فهي طبقة الكادحين في المجتمع الرأسمالي الحدبث ، وهي لا تشابه البروليتاريا القديمة الا من حيث أنها لا تملك ، بيد

الخراب ، وانشأوا عن طريق تعميم استخدام عمل العبيد ، استثمارات كبيرة لتربية المواشي والزراعة ، وزراعة البساتين ، سميت « لاتيفونديا » . وصار عمل العبيد يستخدم اكثر فأكثر في معامل الحرفيين التي كانت احيانا على درجة من الاتساع لابأس بها . وصار العبيد يعملون في المناجم والورشات الكبرى ، وفي شق الطرق ، وفي السفن ذات المجاذيف ، وفي كل مكان . لقد اصبح نظام الرق اساس كل الانتاج . وصار عدد العبيد يفوق عدد السكان الاحرار اضعافا عدة . فكان في اثينة ٢٦٥ الف عبد مقابل ٩٠ الف حر ، وفي قورنثوس ٤٦٠ الف عبد مقابل ٤٦ الفا من الاحرار .

« وهكذا تقدم تجمع الثروة وتمركزها في أيدي طبقة قليلة من الناس ، تقدما سريعا ، مع اتساع التجارة والنقد والربا ، وتملك الارض والاسترهان . والى جانب هذا ، ازداد افقار

انها تخالف مخالفة شديدة من حيث أنها هي التي تنتج معظم خيرات المجتمع الحديث . وقد استعار الكلمة القديمة بعض الكتاب الفرنسيين البرجوازيين في القرنين الثامن والتاسع عشر وأطلقوها على الطبقة التي لا تملك في المجتمع الرأسمالي الحديث . وشاع من ثم استعمالها في اللغات الاوروبية ، على ما تنطوي عليه هذه التسمية من تحقير لهذه الطبقة ذات الشأن العظيم .

ولذا فانه يحسن بنا في اللغة العربية أن نجتنب تسمية هذه الطبقة بالبروليتاريا ، وأن نعرفها بـ « الطبقة الكادحة » ، اذ أن الكدح هو دورها المميز في المجتمع ، وهو عنوان أصالتها وشرفها . (المراجع)

الجماهير ، وتضخيم جموع الفقراء ... ومع هذا الانقسام بين الرجال الاحرار الى طبقات حسب ثرواتهم ، ازداد بشكل كبير ، وخصوصا في اليونان ، عدد العبيد الذين كان عملهم الاجباري يؤلف القاعدة التي يقوم عليها البناء الاجتماعي الفوقي كله »(١) .

كان العبد ملكا مطلقا لسيده الذي كان يستطيع ان يتصرف به تصرفه بالسوائم . وكان العبيد محرومين من كل الحقوق المدنية ، حتى الاساسية منها . وكان اسيادهم يستطيعون قتلهم دون ان ينالهم عقاب . ومن الراهن ان ظروفا كهذه ، كانت تجعل من الضروري اللجوء الى العنف لارغام العبيد على العمل . فكان استغلال العبيد الفظيع سبب اتلاف قواهم السريع ، فاذا عجزوا عن العمل ، قتلوا . وكان من الضروري لاستبدال الموتى بغيرهم ، ولتوسيع الانتاج ، ان يكون هناك رفد لاينقطع من العبيد ، فكان الاسياد يتداركونهم عن طريق الحروب التي كانت تشنها الدول النخاسية دون انقطاع تقريبا .

وقد ادى استغلال العبيد ، هذا الاستغلال الحاد ، الى تمردات ، كان اخطرها التمرد الذي قاده اسبارطاكوس من سنة ٧٣ الى سنة ٧١ قبل الميلاد ، ولكنها انتهت جميعا الى الفشل .

---

(١) انجلز : « أصل العائلة » ـ الطبعة العربية ، ص ٢١٤ .

لقد كان نظام الرق مرحلة ضرورية في تطور المجتمع البشري.
وكان الرق قد صار ، في ظروف انحلال المشاعية البدائية ، الاساس الوحيد للتطور الاجتماعي .

« كان ادخال نظام الرق ، في الظروف التي حدث فيها ، تقدما كبيرا . ولقد كان منتظرا قطعا ، ان الانسانية التي ولدت من الحيوانية ، كانت بحاجة الى وسائل بربرية ، بل وحيوانية تقريبا ، لتنفض عنها آثار البربرية »(١) . كان العمل اليدوي اذ ذاك اساس الانتاج ، ولم يكن الانتاج الكبير ممكنا دون استخدام عمل العبيد على نطاق واسع . لقد جعل نظام الرق في حيز الامكان ، ايجاد تقسيم اكبر للعمل بين العمل الحرفي والزراعة ، كما سمح ببناء الآثار الضخمة التي بناها الاقدمون ، وبانشاء الملاحة وصناعة استخراج كنوز الارض . ولولا نظام الرق ، لما استطاعت العلوم والفنون (كالرياضيات والميكانيك والجغرافية والفلك والنحت والفنون الجميلة) ، ان تبلغ ماصارت اليه ايام الاقدمين من مستوى رفيع نسبيا .

ولكن تطور القوى المنتجة ، لم يكن يفيد الا حفنة من المستغلين . اما بالنسبة لمجموع العبيد ، فكان يعني مالا يطاق من الالام وضروب الحرمان . ولكن هذا كان على وجه العموم ، قانون

(١) فريدريك انجلز : « رد على دوهرينك ـ السيد أوجين دوهرينك يقلب العلم رأسا على عقب » ـ الطبعة العربية (بعنوان : « انتي دو هرنغ ») ، دار دمشق ، ١٩٦٥ ، ص ٢١٧ .

تطور القوى المنتجة في المجتمع المنقسم الى طبقات .

« لما كان اساس الحضارة استغلال طبقة لاخرى ، كان لابد لتطورها كله ان يتخبط في تناقض مستديم . فكل خطوة الى الامام في الانتاج ، هي في الوقت ذاته خطوة الى الوراء في وضع الطبقة المضطهدة ، اي الاكثرية الكبرى من الناس . وكل خير لاحدى الفئتين ، هو بالضرورة شر للفئة الاخرى . وكل تحرر جديد لطبقة من الطبقات ، اضطهاد جديد لطبقة اخرى وان لنا في استعمال الآلة ، ومانجم عنه من نتائج معروفة في العالم كله ،برهانا ساطعا على مانقول »(١) .

كان نظام الرق شكلا اجتماعيا ضروريا من اشكال تطور القوى المنتجة ، في مرحلة معينة من مراحل التاريخ . ولكن هذا التطور كان بدوره ، سببا لانحطاط هذا النظام .

انحطاط نظام الرق

لم تتطور المهانة (التكنيك) في ظل نظام الرق ، اي تطور تقريبا . فقد كانت روما القديمة واليونان تطوران على الاخص انتاج الاشياء الكمالية والاسلحة ، وبناء القصور والمعابد ،والطرق

(١) انجلز : « أصل العائلة » ـ الطبعة العربية ، ص ٧٢٩ .

الحربية . اما المهانة ، وخصوصا في الزراعة التي كانت فرعـا اساسيا من فروع انتاج ذلك الزمان ، فقد بقيت دون اي تغيير تقريبا ، وكان اساس تطور الانتاج هو استخدام يد العبيد العاملة الرخيصة ، وكان ذلك يفرض زيادة عددهم دون انقطاع ، ولما كانت الحرب هي المصدر الرئيسي لتدارك العبيد ، فقد فتحت روما خلال بضعة قرون اوروبة الغربية كلها تقريبا ، وآسية الصغرى ، وساحل افريقية الشمالية على البحر الابيض المتوسط .

وقد خضعت المقاطعات التي فتحتها روما لاستغلال رهيب فكانت موردا خصبا تجني منه روما الضرائب ، ويخضع سكانها لنهب الموظفين الرومانيين الاداريين والجيوش الرومانية المقيمة فيها ، نهبا لارحمة فيه . ولقد ادى هذا الاستغلال البربري للشعوب المغلوبة على امرها الى تدمير قواها المنتجة تدميرا عاما .

واذا كان نظام الرق في عهد نشأته ، وفي أيامه الاولى ، عاملا في تطور القوى المنتجة ، فقد صار فيما بعد سببا لتدمير هذه القوى . وكان لهذا الانحطاط في القوى المنتجة ان يؤدي بدوره الى انحلال نظام الرق وزواله . وعلى قدر ماكان يزداد الافقار الشامل ، وانحطاط التجارة والعمل الحرفي والزراعة ، كان عمل العبيد ينقطع تدريجيا عن ان يكون عملا مفيدا ، وذا ريع .

« لقد قضى نظام الرق القديم زمنه ، ولم يعد يعطي

بعد ذلك اية فائدة تستحق الذكر ، لافي الريف حيث الزراعة الكبرى ، ولافي المعامل اليدوية في المدن ، واختفى سوق منتجاته »(١)

فلما انحطت الاستثمارات الكبيرة المؤسسة على عمل العبيد ، عاد الانتاج الصغير فصار مربحا من جديد ، واخذ عدد العبيد المعتقين يتزايد دون انقطاع ، ويرافق تزايده تجزئة المزارع الكبيرة (لاتيفونديا) الى ارض صغيرة يزرعها العامرون(٢) . كان العامر مزارعا يتلقى ارضا يتصرف بها ابدا ، ويقدم مقابلها اتاوة نقدية ، أو من محصوله . ولم يكن هذا العامر مزارعا حرا ، لانه كان مرتبطا بالارض لايستطيع تركها ، كما كان يمكن ان يباع معها . ولكنه من جهة أخرى ، لم يعد عبدا ، فلم يعد ملكا شخصيا لسيد الارض ، ولم يعد لهذا السيد ان يجبره على القيام بهذا العمل او ذاك ، ولا ان يحرمه من الارض التي كان مرتبطا بها . ولقد كان اولئك العامرون اسلاف أقنان العصر الوسيط . وكان أكثرهم من العبيد السابقين ولكن بينهم مع ذلك عددا من الرجال الاحرار ايضا ، انحدروا الى مرتبة العامرين ، ولو كانوا اقل عددا .

---

(١) انجلز : « أصل العائلة » — الطبعة العربية ، ص ٢٣٥ .

(٢) آثرنا كلمة « العامر » لترجمة « كولون » ، ولم نستعمل « مستعمر » لمعناها الحديث المشهور . والعامر من عمر الارض بمعنى سكنها وأحياها .

الا ان نظام الاعمار لم يحل التناقض الذي خلقه نظام الرق .

« لم يعد نظام الرق يعطي اية فائدة ، ولذلك راح يموت شيئا فشيئا . ولكنه يترك وراءه ابرته السامة : وهي احتقار الرجال الاحرار للعمل المنتج . هنا كان المأزق الذي وقع فيه العالم الروماني ، والذي لم يجد منه مخرجا . فنظام الرق لم يعد ، من الناحية الاقتصادية ، نظاما يمكنه البقاء ، وعمل الرجال الاحرار كان ، اخلاقيا ، موضع الاحتقار . فالرق لم يعد يمكن ان يكون اساس الانتاج الاجتماعي ، وعمل الاحرار لم يكن يمكنه، حتى ذلك الوقت ان يكون اساسا له . وكان العلاج الوحيد لهذه الحالة ، ثورة كاملة »(١) .

عندما كان اقتصاد نظام الرق قويا وثابتا ،انتهت تمردات العبيد التي كانت تحدث من وقت لآخر الى الفشل (واكبرها جميعا تمرد اسبارطاكوس في سنتي ٧٣ – ٧١ قبل الميلاد) . ولكن الوضع تغير تماما مع انحطاط اقتصاد نظام الرق ، وانحطاط الامبراطورية بوجه عام ، وقد تكلمنا عنه آنفا . وقد اتخذت تمردات العبيد منذ القرن الثاني للميلاد ، شكلا اكثر حدة ، وصادفت على الاغلب تأييدا من قبل الطبقات الفقيرة من السكان الاحرار – وهو امر له اهمية خاصة . واتفق في الوقت ذاته ، ان بدأ البرابرة الجرمان

---

(١) انجلز : « اصل العائلة » – الطبعة العربية ، ص ٢٣٧ .

يتوغلون في اراضي الامبراطورية الرومانية . كانوا في حالة حرب معها منذ عدة قرون فسهل هجوم الجرمان تمردات العبيد داخل روما . وساهمت هذه التمردات ، التي تكون بمجموعها مايسمى ثورة العبيد ، في هزيمة روما على يد الجرمان ، وادت هذه الهزيمة من جديد ، الى الاسراع في سير ثورة العبيد وتصفية نظام الرق .

في نهاية القرن الخامس ، انتهى صراع الجرمان مع روما الى هزيمة الامبراطورية الرومانية والى تفسخها . وكانت الشعوب الجرمانية ، وعددها خمسة ملايين تقريبا ، في درجة منحطة من درجات التطور ، وكان الرق موجودا لديهم بشكله البدائي ، وكانت « بطون » القبائل الجرمانية ، بسبب نضالها ضد روما مدى عصور كاملة ، تحمل على الاخص طابع ديموقراطية عسكرية . الا ان الجرمان لما فتحوا روما ، تخلوا عن نظام « البطون » الذي كان يستحيل معه ادارة الدولة ، وخلقوا سلطة سياسية جديدة : السلطة الملكية التي كانت في الاساس سلطة القائد العسكري .

لقد اخذ الفاتحون الجرمان ، ثلثي مجموع اراضي الرومان، ووزعوها على « البطون » والاسر . ولكن قسما هاما من الاراضي المفتوحة ، وزعها الملوك على القادة العسكريين ، الذين اعطوها بدورهم الى محاربيهم ليتصرفوا بها تصرفا دائما ، دون ان يكون لهم حق بيعها او التخلي عنها لآخرين . ان هذه الاراضي التي

بقيت تحت سلطة الملك العليا ، سميت اقطاعات ، وسمي اصحابها اسيادا اقطاعيين . ولم يكن في وسع انتاج الفلاحين الصغير ، في ذلك العصر الحافل بالحروب المستمرة ، ان يعيش دون حماية الاسياد الاقطاعيين الكبار الذين كانوا في الوقت ذاته قادةعسكريين. وقع الفلاحون تدريجيا ، وخلال ٤٠٠ سنة منذ سقوط روما ، تحت سيطرة هؤلاء الاسياد . وكان الفلاحون مرغمين على ان يضعوا اراضيهم تحت حماية السيد الاقطاعي ، الذي يصبح مالكا لها ، دون ان يستطيع بيعها او التخلي عنها لشخص ثالث . ومقابل هذه الحماية ، كان الفلاحون يتعهدون بأن يقدموا للسيد الاقطاعي ولجنوده ، محصولات غذائية ، وان يقوموا بمختلف الاعمال لحسابه . وهكذا نشأ حوالي القرن التاسع ، النظام الاقطاعي، أو الاقطاعية .

٢ ـ الاقطاعية

كان الانتاج الفلاحي الصغير وانتاج صغار الحرفيين الاحرار، الاساس الاقتصادي لنظام الانتاج الاقطاعي . وكان الانتاج انتاجا طبيعيا بالدرجة الاولى ، اي أن الحاجات المنتجة فيه لم تكن معدة للتبادل .

واتخذ الاستغلال الاقطاعي للفلاحين شكلين رئيسيين :

١ ـ اجبار الفلاح على ان يعمل مجانا اياما معينة من الاسبوع

في حقول السيد (وهي السخرة) ، ٢ ـ اجباره على تسليم جزء من محصول ارضه الخاص (وهي الاتاوة) . وكان الفلاح يملك حق ترك سيده لينضم الى سيد آخر ، ولكنه لايستطيع مع ذلك ان يتحرر من السيادة الاقطاعية .

وكان المنتجون الحرفيون المستقلون الذين يقطنون في المدن وينتجون بقصد البيع ، يسدون قسما كبيرا من حاجاتهم بما ينتجونه بعملهم الخاص (فكانوا يملكون مواشي ، وبستانا وحقلا في بعض الاحيان) ، وكان التبادل محليا على الاخص ، ويجري بين المدينة والقرى المجاورة لها . والى جانب هذا ، كانت هناك تجارة المنتجات المستوردة من البلدان الاخرى ، وخصوصا الاشياء الكمالية ، والافاوية (البهارات) وغيرها . ولكن لم يكن هناك تقريبا تبادل بين المناطق المختلفة للبلد الواحد . ولما كان طابع الانتاج طبيعيا ، وكان تطور المبادلات ضعيفا ، وكانت الطرق والمواصلات سيئة ، كانت البلاد مجزاة الى مقاطعات ومناطق مستقلة ، واضطرت المدن التي كان يسكنها الحرفيون والتجار على الاخص ، لان تخوض غمار نضال قاس وطويل الامد ، لتفوز بالحكم الذاتي ، فكانت محصنة ، وتملك حامياتها الخاصة . وكان الحرفيون متكتلين في هيئات حرفية استدعى وجودها مستودعات مشتركة ، وضرورة مراقبة الاسعار ونوع المصنوعات بغية تفادي

المزاحمة . وكان التجار يملكون بدورهم هيئتهم الخاصة ، ال « غيلد » . وقد حبذ التجار هذا التنظيم في المدن ، ورغبوا بتقويته، نظرا لحاجتهم الى الدفاع عن استقلالهم ضد الاسياد الاقطاعيين. ان النظام الحرفي في المدن كان متمما للنظام الاقطاعي في الزراعة.

ومع تطور التبادل ، اخذ استغلال الفلاحين يزداد شدة ، خطوة فخطوة . فكلما اتسع التبادل ، وكلما استطاع السيد الاقطاعي شراء اشياء كمالية واسلحة لمحاربيه ، كلما وجب عليه بالتالي ، ان يستنزف من فلاحيه اكثر مما كان يستنزف قبلا . فصارت حقول الاسياد تتسع على حسب اراضي الفلاحين ، « والسخرات » تزداد معها « الاتاوات » .

ثم ازداد استغلال الفلاحين شدة ، على اثر نشوء دول ممركزة مكان الاقطاعات الاقطاعية المتعددة . فقد كان تجزؤ البلاد الى مقاطعات مستقلة ، يعوق التجارة ، لان كل سيد اقطاعي كبير كان يفرض مكوسا على السلع التي تمر في املاكه ، ويسك عملته الخاصة ، الخ . وكانت التجارة من جهة اخرى عملا غيرمضمون، بالنظر للغارات المستمرة التي كانت الجيوش الاقطاعية تشنها على قوافل البضائع . ولذلك كان التجار يريدون هدم استقلال الاقطاعيين . فاستفادوا من النضال الناشب بين الاسياد الاقطاعيين المختلفين ، لينحازوا الى اقواهم ، ويعينوه على اخضاع الآخرين. فلما نشات السلطة السياسية المركزية . حلت الجيوش الاقطاعية، واستبدلت بالجيش الملكي ، فاضيفت الى « الاتاوات » التي كان

يدفعها الفلاح الى سيده « اتاوات » اخرى معدة لسد نفقات الدولة الاقطاعية . وصارت هذه « الاتاوات » التي تأخذها الدولة تستوفى اكثر فاكثر نقدا لامحصولا ، وتحولت من عينية الى نقدية . وقد ساعد هذا على تطور الانتاج السلعي ، لان الفلاح صار مضطرا لبيع منتجاته في السوق ليحصل على المال اللازم لدفع الضرائب ، وهكذا وقع الفلاحون تحت نير عبودية جديدة ، اذ خضعوا ايضا للمحتكر والمرابي .

ادى استغلال الفلاحين المتعاظم شدة الى دفع هؤلاءللهروب، وفي سبيل الحؤول دون هذا الهروب لجأ الاقطاعيون الى ربطهم بالارض فأصبحوا اقنانا ، وفي ظل القنانة ازدادت تبعيتهم للاقطاعي وتوثقت . كما ادى استغلال الفلاحين المتعاظم شدة ، وادخال نظام « القنانة » ، الى تمردات فلاحية كبرى انتهت جميعا الى الفشل (كحركة « الجاك » في فرنسة في القرن الرابع عشر ، وحرب الفلاحين في المانية في القرن السادس عشر ، وتمردات رازين وبوغاتشوف فيروسية[1]) . وكان سبب فشلها ان الفلاحين لم يجدوا حلفاء لهم في المدن ، اذ لم تكن الطبقة الكادحة الحديثة قد وجدت بعد .

---

(١) رازين : قائد ثورة فلاحية من القوزاك ، في القرن السابع عشر .
بوغاتشوف : قائد ثورة فلاحية من القوزاك ، في القرن الثامن عشر . سحقت كلا الثورتين بوحشية على يد السلطة القيصرية . (المراجع)

وحدثت في المدن تبدلات هامة . فالعلاقات بين المعلمين الحرفيين وصناعهم اخذت تزداد خطورة ، ومثلها العلاقات بين الحرفيين والتجار . واليك السبب في ذلك . كان الفلاحون خلال المرحلة الاولى من النظام الاقطاعي ، يهربون باستمرار نحو المدن التي كانت تحكم ذاتها حكما ذاتيا ، ويتمتع سكانها بحريتهم الشخصية . فازداد ، بهذا الشكل على الاخص ، عدد سكان المدن . وكان هذا مفيدا لها اول الامر ، اذ ان قوتها العددية كانت تزداد باللاجئين اليها ، وكانت هذه الزيادة تنفعها في نضالها ضد الاقطاعيين . ولكن هذا التزايد في سكان المدن اوجد خطرا هدد الحرفيين ، هو خطر المنافسة . فاخذت الحرف تعمد الى التحديد والتضيق في قبول الاعضاء الجدد في صفوفها ، واطالت مدد التدريب في المهن ، وزادت في استغلال الصناع حتى صار من المحال عليهم ، اكثر فاكثر ، ان يصبحوا معلمين حرفيين . واتخذت الحرف فوق هذا ، تدابير اخرى ترمي الى منع كل الاساليب الجديدة من ان تدخل في الانتاج ، والى محاربة تجارة المنتجات المستوردة ، فكان من ذلك ، ان نشب الصراع بين الحرف وبين التجار .

انحطاط الاقطاعية

لقد صار التنظيم الحرفي الاقطاعي بذلك ، عقبة في وجه كل تطور لاحق في الانتاج السلعي . وجاءت الاكتشافات الجغرافية

الكبرى في القرن الخامس عشر (اكتشاف الطريق البحرية الى الهند ، واكتشاف اميركة) فدفعت التجارة بقوة الى امام .

« فالتجارة بين أوروبة والعالم الخارجي ، التي كانت محصورة في تجارة ايطالية مع دول المشرق فحسب ، اتسعت فشملت اميركة والهند ، وتجاوزت من حيث الاهمية جميع المبادلات القائمة بين مختلف بلدان اوروبة ، وكل التداول الداخلي في كل بلد على حدة، تجاوزا سريعا . لقد جاء ذهب اميركة وفضتها ، فاغرقا اوروبة ، وتسربا الى كل مافي النظام الاقطاعي من ثغرات وشقوق وصدوع ، بصفتها عناصر تفسيخ وتهديم . ولما كان الانتاج الحرفي لم يعد يكفي لسد الحاجات المتزايدة ، استبدل في البلدان المتقدمة عن غيرها ، بنظام المعمل اليدوي(١) »(٢) . واليك الآن كيف ولد المعمل اليدوي الراسمالي . لقد كان النول الصغير محتكرا في المدن بيد الحرف . ولهذا ، اخذ راس المال التجاري الذي كان من مصلحته تطوير الانتاج ، يوسع دائرة نشاطه الى ماوراء المدن ، فعزز تطوير الانتاج الحرفي في الريف ، وخصوصا انتاج النسيج،

---

(١) المعمل اليدوي : « المانيفاكتورة » .

(٢) انجلز : « رد على دوهرينك » (« انتي دوهرنغ ») ، طبعة دار دمشق ، ص ١٢٦ .

فكان من ذلك ان وقع الحرفي البعيد عن السوق ، في تبعية المتعهد الراسمالي . وقد اتخذت هذه التبعية الاشكال التالية على التوالي : يبيع الحرفي ، اول الامر ، منتجاته باسعار رخيصة ثم يتلقى من المتعهد بعدئذ نقودا ومواد اولية على سبيل القرض، فيصبح عاملا يشتغل بتصنيع المواد الاولية التي تخص المتعهد مقدما من عنده آلته الخاصة لاغير ، ورابحا بعد جهد مايكاد يقوم باوده .

وياخذ المتعهد بعد هذا ، بتكتيل الحرفيين المبعثرين في بناء واحد ، حيث يعملون منذئذ كعمال مأجورين محرومين من كل وسيلة للانتاج . وعندئذ يصبح رأس المال التجاري رأس مال صناعيا ، ويظهر الى جانب الانتاج السلعي الصغير الانتاج الراسمالي الكبير : اي انتاج العمل اليدوي .

العمل اليدوي هو قوة منتجة جديدة كل الجدة ، ومتفوقة على قوة المنتجين الصغار . فهو يشغل كثيرا من العمال . يقوم كل منهم بانجاز جزء معين من العمل ، فيكون عمل الجميع من حيث القدرة الانتاجية اعظم بكثير من العمل المبعثر الذي يقوم به المنتجون الصغار . ولم يكن التقسيم الاجتماعي للعمل موجودا قبل ظهور العمل اليدوي ، الا بين مختلف المنتجين المستقلين الصغار الذين تربط السوق بينهم . اما بعد ظهوره ، فقد اخذ تقسيم العمل هذا يتحقق في داخل العمل اليدوي ذاته .

ولهذه القوة المنتجة الجديدة ، علاقات انتاجية جديدة توافقها . فلم يكن رأس المال من قبل موجودا الا بشكل راس مال ربائي وتجاري . وكان التاجر والمرابي يستغلان صغار المنتجين الذين يبيعون منتجاتهم الخاصة . اما بعد ظهور العمل اليدوي ، فلم يعد العامل يبيع منتجاته ، بل صار يبيع قوة عمله . الراسمالي هو الذي يملك وسائل الانتاج ، ويملك البضائع التي يصنعها العامل ، ولايتلقى العامل الا اجرا يعادل ثمن قوة عمله ، بينماهو ينتج القيمة الزائدة للرأسمالي . صار العامل مستغلا من قبل الراسمالي ، وصار اسلوب الانتاج على هذا النحو اسلوبا راسماليا ، واخذت علاقات انتاج جديدة ، علاقات راسمالية ، تظهر وتتطور مع نمو القوى المنتجة .

ولكن النظام الاقطاعي كان يعوق التطور اللاحق لهذه القوى المنتجة الجديدة ، ولعلاقات الانتاج التي توافقها ، وكان مما يعوق هذا التطور ، النظام الحرفي في المدن ، ذلك الجزء المتمم للنظام الاقطاعي . غير ان العلاقات الاقطاعية في القرية ، لم تكن اقل اعاقة لتطور الانتاج الراسمالي ، اذ ان ارتباط الاقنان بالارض كان يحرم الراسماليين من يد عاملة رخيصة . وهكذا نرى ان الاقطاعية التي كانت متوافقة عند نشأتها ، مع مستوى القوى المنتجة في المجتمع ، صارت متناقضة مع القوى المنتجة المتنامية وصار الغاؤها ضرورة تاريخية .

فلما ازدادت حدة اضطهاد الدولة الاقطاعية للفلاحين والجماهير البرجوازية الصغيرة والعاملة في المدن ، انفجرت الثورات البرجوازية الرامية الى هدم النظام الاقطاعي وفسح المجال امام تطور الراسمالية . وقد حدثت هذه الثورات في انكلترا في القرن السابع عشر ، وفي فرنسا عند اواخر القرن الثامن عشر(١) .

« ان القوى المنتجة الجديدة التي حركتها البرجوازية ، – وفي الدرجة الاولى تقسيم العمل وحشد عدد كبير من العمال المتخصصين في معمل يدوي واحد – وكذلك ما خلقته هذه القوى من ظروف التبادل وحاجاته ، كل ذلك صار غير متفق مع نظام الانتاج السائد الذي ارثه التاريخ وكرسه القانون ، أي صار غير متفق مع مافي النظام الاقطاعي من امتيازات حرفية ، وامتيازات شخصية ومحلية لاتحصى (والتي كانت بمثابة عقبات في وجه الجماعات المحرومة من الامتيازات) . وكان بالنتيجة ان تمردت القوى المنتجة المتمثلة في البرجوازية ، ضد نظام الانتاج المتمثل

(١) وفي البلدان التي تطورت فيها الراسمالية من بعد ، وجرت فيها الثورة البرجوازية بعد ان تكونت الطبقة الكادحة الصناعية ، كما كانت الحال في المانية سنة ١٨٤٨ ، وخصوصاً في روسية سنة ١٩٠٥ ، تفاهمت البرجوازية مع الدولة الاقطاعية ، وتواطأت معها . (المؤلف)

في الملاك العقاريين الاقطاعيين ، ومعلمي الحرف »(١) .

٤ – الرأسمالية

تطورت الراسمالية منذ كان الانتاج السلعي . اما قبل ظهوره فكان الاقتصاد الطبيعي هو السائد لاالانتاج السلعي . ولقد وجد التبادل ، والنقد ، والتجارة ، حتى في نظام الرق والنظام الاقطاعي ، ولكن الكتلة الرئيسية من المنتجات فيهما لم تكن معدة للسوق ، ولم يصبح الانتاج السلعي اسلوب الانتاج العام والسائد الا في ظل الراسمالية . وقد طورت الراسمالية التقسيم الاجتماعي للعمل ، على نطاق واسع . فمن المعمل اليدوي الراسمالي الذي يشكل فيه العمل اليدوي أساس الانتاج ، ينشأ المعمل الراسمالي المجهز بالوسائل الالية الضخمة ، وتزداد انتاجية العمل زيادة هائلة ، وتظهر بضائع جديدة ، ويتعاظم عدد المعامل . هذا في حين تدمر الراسمالية بعضا من الاساليب القديمة للانتاج ، وتسيطر على بعضها الاخر ، وتطور وسائل المواصلات ، وتتسرب الى كل زوايا المعمورة ، وتخلق السوق العالمية والاقتصاد الراسمالي العالمي .

ولكن الانتاج في النظام الراسمالي لايهدف الى اكفاء الحاجات الاجتماعية ، بل الى تنمية ثروات الراسماليين . فالسباق الى

(١) كارل ماركس وفريدريك انجلز : « الدراسات الفلسفية » – الطبعة الفرنسية ، دار « اديسيون سوسيال » ، باريس ، ص ٥٨ .

الربح هو القوة المحركة للراسمالية . ان كل راسمالي ، رغبة منه بجني اكبر ربح ممكن ، وتحت ضغط المنافسة ، يحاول زيادة انتاجه وتشديد استغلال العمال ، وادخال آلات جديدة محسنة في الانتاج .

وقد سبق ان اوردنا كلمات انجلز حيث يقول ان « كل خطوة الى الامام في الانتاج ، هي في الوقت ذاته خطوة الى الوراء في وضع الطبقة المضطهدة ، اي الاكثرية الكبرى من الناس » في المجتمع المنقسم الى طبقات . والراسمالية تزيد الى اقصى حد خطورة هذا التناقض في المجتمع المنقسم الى طبقات .

« فالنظام الراسمالي ، بصفته صانعا لنشاط الاخرين ، ومستدرا للعمل الاضافي ، ومستغلا لقوة العمل ، يفوق من حيث القدرة والافراط والفعالية كل انظمة الانتاج السابقة ، القائمة على العمل الاجباري المباشر »(١) .

غير ان الراسمالية ، عندما تطور قوى المجتمع المنتجة ،تبدو، يوما فيوما ، اقل قدرة على السيطرة عليها ، واجدى برهان على ذلك ، هو تلك الازمات التي تأتي على نحو دوري فتزعزع النظام

(١) كارل ماركس : « راس المال » ـ طبعة دار اليقظة العربية ، دمشق ، ١٩٥٨ ، الجزء ١ ص ٤٥٨ ـ ٤٥٩ ـ طبعة دار المعارف ، بيروت ، ١٩٥٦ ، الجزء ٢ ، القسم ١ ،ص٣٤٦ ـ ٣٤٧ .

الراسمالي وتدمر جزءا من القوى المنتجة . وهكذا تصبح الراسمالية ، اكثر فاكثر ، عائقا في طريق تطور هذه القوى التي ولدتها هي ذاتها . ومن هنا يتبين ان الغاء الراسمالية بالطرق الثورية ، واستبدالها بالشيوعية ، اي بمجتمع دون طبقات تكون وسائل الانتاج فيه ملكا مشتركا ، يصبح ضرورة تاريخية .

وهكذا يؤدي تطور الراسمالية الى ايجاد الظروف المادية والمهانية (التكنيكية) الضرورية لبناء المجتمع الشيوعي ، ويخلق في الوقت ذاته ، القوة المدعوة الى قلب الراسمالية : اي الطبقة العاملة الثورية ، التي يزداد وضعها سوءا كلما تطورت الراسمالية، والتي ليس لها من مخرج آخر غير قلب الراسمالية وبناء المجتمع الشيوعي .

التناقض بين القوى المنتجة وعلاقات الانتاج

تبين لنا النظرة السريعة التي القيناها على تطور المجتمع ، ان الانتقال من اسلوب انتاج الى اسلوب آخر ، ليس وليد الصدفة ، بل ينجم عن اشتداد التناقض بين القوى المنتجة وعلاقات الانتاج . واليك في بضع كلمات ، كيف عرض ماركس قانون التطور التاريخي هذا :

« ان البشر ، اثناء الانتاج الاجتماعي لمعيشتهم ، يقيمون

فيما بينهم علاقات معينة ضرورية مستقلة عن ارادتهم . وتطابق علاقات الانتاج هذه درجة معينة من تطور قواهم المنتجة المادية . وعندما تبلغ قوى المجتمع المنتجة المادية درجة معينة في تطورها ، تدخل في تناقض مع علاقات الانتاج القائمة، اي مع علاقات التملك — وليست هذه الا التعبير الحقوقي عن تلك — التي كانت تتحرك في كنفها حتى ذلك الحين . فبعد ان كانت هذه العلاقات اشكالا لتطور القوى المنتجة ، تصبح قيودا لهذه القوى ، وينفتح عندئذ عهد ثورة اجتماعية »(١) .

ان كل نظام لعلاقات الانتاج ، أو كل تنظيم اجتماعي ، له خصائصه ، سواء أكان مشاعية بدائية ، أم رقا ، أم اقطاعية ، أم راسمالية ، أم شيوعية . بيد اننا اذا نظرنا الى انظمة الانتاج الثلاثة التي تلت المشاعية البدائية ، نجد أن هناك صفة مشتركة تجمع بينها جميعا : فان علاقات انتاجها علاقات طبقية . ان هذه الانظمة الانتاجية يميزها الصراع الطبقي ، ويشكل الصراع الطبقي فيها الخط الاساسي الذي يحدد كل الحياة الاجتماعية . ان الراسمالية هي آخر مجتمع قائم على الصراع بين الطبقات ، آخر مجتمع منقسم الى طبقات ، ويحل مكانه النظام الاشتراكي الذي

---

(١) كارل ماركس وفريدريك انجلز : « الدراسات الفلسفية » — الطبعة الفرنسية ، ص ٨٢ .

لاطبقات فيه(١) ، وهو المرحلة الاولى للشيوعية . ويبدأ حكم الطبقة الكادحة واقامة رغام(٢) الطبقة الكادحة .

---

(١) لاينتفي وجود الطبقات من المجتمع بمجرد قيام ثورة الطبقة الكادحة واقامة حكمها الجديد . بل تنقضي حقبة تاريخية كاملة بين ظفر الطبقة الكادحة بالحكم للمرة الاولى ، وبين انجاز التحويل الاشتراكي وبزوغ المجتمع الشيوعي. وطوال هذه الحقبة ، تبقى الطبقات موجودة في المجتمع الاشتراكي ، ويبقى الصراع محتدما بين الطبقتين : الطبقة الكادحة والطبقة المستغلة ، وبين الطريقين في التطور الاجتماعي : الطريق الاشتراكية والطريق الراسمالية ، وبين الخطين السياسيين : الخط الاشتراكي والخط الراسمالي . وتعمد كل من الطبقتين الى تنمية ونشر ثقافتها واخلاقها ومفهومها عن العالم ، وتخلق وتطور قيادتها الفكرية والسياسية . وقد يبلغ الصراع بينهما أقصى درجات الشدة أحيانا ، كالحرب الاهلية ، ولاينتهي الا بعدما تتغلب الافكار والاخلاق والنظم الاشتراكية نهائيا وتسود الحياة الاجتماعية برمتها ، وبعدما تتم ازالة مخلفات عهود الاستغلال الطبقي كافة . وقد تستغرق حقبة الانتقال والتحويل هذه اجيالا عديدة من الناس . فالمجتمع الراسمالي هو حقا آخر مجتمع منقسم الى طبقات ، بيد ان استبداله بالمجتمع الشيوعي ليس أمرا آنيا سريعا ، بل هو بناء يبنى في خضم الصراع التمادي .

ولعل قصر التجربة التاريخية التي عاشتها الاشتراكية ، وتلهف الكادحين تلهفا تشوبه المثالية ، الى رؤية أمنيتهم التاريخية تتجسد في النظام الشيوعي، هي بعض العوامل التي أدت الى عدم الاحساس ، زمن تاليف هذا الكتاب في العقد الخامس من القرن العشرين ، بحتمية دوام وجود الطبقات والتناقض الطبقي ، وباستمرار الصراع بين الطبقتين والطريقين والخطين ، في كنف المجتمع الاشتراكي ، طوال حقبة تاريخية مديدة نسبيا ، تمتد مابين الراسمالية والشيوعية . (المراجع) .

(٢) الرغام (بكسر الراء) : نظام الحكم الارغامي الذي تفرضه احدى الطبقات على سواها (الدكتاتورية الطبقية) . (المراجع) .

ان جميع الثورات السابقة كانت تنتهي الى احلال نظام استغلال مكان نظام استغلال . اما ثورة الطبقة الكادحة فانها تقضي على كل استغلال .

« ان ثورتنا السوفياتية وحدها ، ثورة تشرين (اكتوبر) ١٩١٧ ، قد وضعت المسالة بشكل لايحل معه نفر من المستغلين محل نفر آخر منهم ، ولايستبدل معه شكل من الاستغلال بشكل آخر ، بل وضعت المسالة على نحو يقضي على كل استغلال ، ويستاصل جميع المستغلين وكبار الاغنياء والمضطهدين ، القدامى والحديثين »(١) .

ان سيطرة الانسان على الطبيعة ، في المجتمع المنقسم الى طبقات ، تمارس عن طريق السيطرة على الاكثرية الساحقة من المجتمع ، واستغلالها من قبل حفنة ضئيلة من المستغلين . وهكذا تكون كل خطوة الى الامام في الانتاج خطوة الى الوراء في وضع الشغيلة . اما ثورة الطبقة الكادحة ، فهي على العكس ، تدشن عهدا جديدا ، كل خطوة فيه الى الامام في مضمار الانتاج تعني في الوقت ذاته خطوة الى الامام في وضع الشغيلة . ويصبح المجتمع فيه ، للمرة الاولى ، سيد الطبيعة ، وتتطور القوى المنتجة

---

(١) ستالين : « في الطريق الصالحة » ـ الطبعة الفرنسية ، دار « بورو ديديسيون » ، باريس ، ١٩٣٢ ، ص ١٢ .

بسرعة لم يبلغها اي مجتمع قائم على استغلال طبقة لطبقة اخرى . وان في النمو السريع للقوى المنتجة ، وفي ظفر الاشتراكية ، في الاتحاد السوفياتي ، اسطع برهان على ذلك .

خاتمة : أهمية الاقتصاد السياسي الماركسي

لقد بين لينين ماللنظرية من شان في نضال الطبقة الكادحة حين قال : « ان حزبنا الذي يسترشد نظرية الطليعة هو وحده يمكن ان يؤدي دور المقاتل في الطليعة »(١) . ومعروف ان هذه النظرية الثورية التي تسلح الطبقة العاملة في نضالها لقلب الراسمالية وبناء المجتمع الشيوعي هي الماركسية اللينينية . فلابد اذن ، لقيادة الطبقة العاملة الى الظفر ، من معرفة قوانين تطور الراسمالية وانهيارها ومعرفة الشروط الضرورية للتغلب عليها . وكما اننا لانستطيع السيطرة على قوى الطبيعة اذا لم ندرسها ولم نعرف قوانينها ، فكذلك لايستطيع حزب الطبقة الكادحة الثوري ، اذا جهل القوانين التي تسود تطور المجتمع بعامة ، والراسمالية بخاصة، ان يهيء ويطبق استراتيجية وخطة صالحتين وسياسة صحيحة، تؤدي الى قلب الراسمالية وبناء المجتمع الشيوعي ، ان ماركس وانجلز هما اللذان كشفا قوانين تطور المجتمع وبرهنا ان علاقات الانتاج بين الناس هي اساس كل الحياة الاجتماعية ، وهمااللذان

---

(١) لينين : « ماالعمل » ـ الطبعة العربية ، دار التقدم ، موسكو ١٩٦٨ ، ص ٣٢ ـ طبعة دار دمشق ، دمشق ، ١٩٥٨ ، ص٣٣ .

برهنا ان الاشتراكية ضرورة تاريخية وان دكتاتورية الطبقـة الكادحة ضرورة تاريخية ايضا ، باعتبارها شكل الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية .

ان مذهب ماركس وانجلز الاقتصادي ، المتعلق بارتباط تطور علاقات الانتاج بتطور القوى المنتجة ، يشكل جزءا رئيسيا في نظريتهما ، وان نظرية ماركس لتجد في ذلك المذهب اعمق تحقيق وتطبيق لها ، واكثرهما اطلاقا واشدهما تفصيلا . وقد صرف ماركس وانجلز اهتمامهما على نحو رئيسي ، الى دراسة قوانين تطور الراسمالية وسقوطها ، ليجدا الطريق الى تحرر الطبقة الكادحة . فالنظرية الماركسية تضع امامها هدفا مباشرا هو الكشف عن كل اشكال الصراع والاستغلال في المجتمع الحديث، ومتابعة تطور هذه الاشكال ، والبرهان على انها ذات طابع انتقالي، وانها لابد متحولة من شكل الى اخر . وبذلك تخدم هذه النظرية الطبقة الكادحة لكي تستطيع ان تتخلص من كل استغلال ،باسرع مايمكن وباسهل مايستطاع . ان نظرية ماركس الاقتصادية هي أذن سلاح نضالي هائل في يدالطبقةالكادحة ، من اجل قلب الراسمالية وبناء الاشتراكية . عاش ماركس وانجلز وناضلا في عصر لم تبلغ تناقضات الراسمالية فيه بعد الدرجة القصوى في تطورها .ولذلك لم يكن بوسعهما ان يحللا الظروف الجديدة التي تخلقها الراسمالية في المرحلة العليا من تطورها . كان لينين هو الذي حلل قوانين

هذه المرحلة من الرأسمالية ، قوانين الاستعمار ، وقد بين لينين مستندا الى قوانين تطور الرأسمالية التي كشف عنها ماركس ، ان الاستعمار هو الرأسمالية في حالة النزع ودور التفسخ ، وان ثورة الطبقة الكادحة في مرحلة الاستعمار تصبح ضرورة عاجلة ولابد منها ، وان ظفر الاشتراكية في ظروف الاستعمار يصبح ممكنا اول الامر في بلد واحد . وقد زاد لينين في التعمق بكل المسائل الاساسية للماركسية ، بما فيها المسائل الاساسية في الاقتصاد السياسي ، رابطا اياها بالاهداف الجديدة للطبقة الكادحة الثورية. وجاء ستالين فطور الماركسية اللينينية وفقا لاهداف الطبقةالكادحة في مرحلة الازمة العامة للرأسمالية وبناء الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي[1] .

---

(١) ظهر هذا الكتاب ، كما أسلفنا في العقد الخامس من القرن العشرين ، وكان يعبر عن الموقف الراهن آنذاك في الاوساط الماركسية اللينينية ، ولاسيما في أوروبة .

بيد ان التطور لايستقر طويلا في موقف معين ، والتناقضات التي تنشأ وتتجدد ابدا في المجتمع تستفحل وتلح في طلب حلها . وهي لابد واجدة حلا على يد القوى الجديدة الصاعدة الى الثورة في كل عصر . وقد اخذت التناقضات الجديدة تظهر وتستفحل في العالم في عقود السنين الاخيرة ، في المرحلة الجديدة

من الازمة العامة للراسمالية ، وفي ظروف تمدد واتساع التجارب الاشتراكية بعد الحرب العالمية الثانية ، وتعاظم الثورات الشعبية التحررية في « منطقة العواصف الثورية » — آسية وافريقية واميركة اللاتينية . وتنضوي هذه التناقضات الى فئتين رئيسيتين مختلفتين من حيث طابعهما :

(١) التناقضات بين المضطهِدين والمضطهَدين ، بين الشعوب والطبقات الثورية من جهة ، وبين الطبقات الرجعية الحاكمة من الجهة الاخرى . (٢) التناقضات في وسط الشعب ، وفي صفوف الثورة ، وفي غضون المجتمع الاشتراكي .

* * *

فهرست

المكتبة الاشتراكية

صدر منها :

١ ـ الماركسية وقضايا علم اللغة ـ ستالين	١٢٥
٢ ـ القضايا الاقتصادية للاشتراكية في الاتحاد السوفياتي ستالين	٢٠٠
٣ ـ المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ـ ستالين	١٥٠
٤ ـ اسس اللينينية ـ ستالين	٢٥٠
٥ ـ حول مسائل اللينينية ـ ستالين	١٥٠
٦ ـ البيان الشيوعي ـ ماركس وانجلز	١٥٠
٧ ـ دور الافكار التقدمية في تطور المجتمع ـ كونستانتينوف	٢٥٠
٨ ـ الطبقة والامة ـ غليزرمين	٧٥
٩ ـ لمحة عن تطور المجتمع منذ بدء التاريخ ـ سيغال	١٢٥
١٠ ـ اصلاح اجتماعي ام ثورة ـ روزا لوكسمبورغ	١٠٠
١١ ـ حول تاريخ تطور الفلسفة ـ جدانوف	١٠٠
١٢ ـ الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية ـ ماوتسي تونغ	٦٠
١٣ ـ الوضع الراهن ومهماتنا ـ ماوتسي تونغ	٧٥
١٤ ـ تقرير الى الدورة العامة الثانية للجنة المركزية المنبثقة عن المؤتمر الوطني السابع للحزب الشيوعي الصيني ـ ماوتسي تونغ	٧٥
١٥ ـ القضايا الاساسية للماركسية بليخانوف	٣٠٠
١٦ ـ دور العنف في التاريخ ـ انجلز	٣٠٠
١٧ ـ لودفيغ فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية ماركس وانجلز	٢٥٠

6

« اعلم أن اختلاف الاجيال في احوالهم انما هو باختلاف نحلتهم من المعاش .»

(عبد الرحمن خلدون)

« ان العلاقات الاجتماعية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالقوى المنتجة . وعندما يحصل الناس على قوى منتجة جديدة ، يغيرون أسلوبهم في الانتاج، وبتغييرهم أسلوب الانتاج ، أي بتغييرهم طرق كسب معيشتهم ، يغيرون كل علاقاتهم الاجتماعية . فالطاحونة الهوائية تعطيك مجتمع السيد الاقطاعي، والطاحونة البخارية تعطيك مجتمع الرأسمالي الصناعي . » (كارل ماركس)

« ان الانتاج الاقتصادي ، والبناء الاجتماعي الذي ينشأ عنه بالضرورة ، يؤلفان ، في كل عهد تاريخي ، أساس التاريخ السياسي والفكري لهذا العهد ... وبالتالي ، فكل التاريخ ، منذ انحلال ملكية الارض المشاعية البدائية ، هو تاريخ صراع بين الطبقات ، صراع بين طبقات مستغلة وطبقات مستغلة ، بين طبقات مسودة وطبقات سائدة .»

(فريدريك انكلز)

احس ابن خلدون منذ القرن الرابع عشر ، بتجربته السياسية الواسعة وبفكره العبقري الثاقب ، بالموضوعية الاساسية في المادية التاريخية . وقام ماركس وانكلز في القرن التاسع عشر ، بتأسيس نظرية المادية التاريخية . وعلى ضوئها فان التاريخ لكي يغدو علما حقيقيا ، يجب الا يقتصر على أعمال الملوك والحكام وقادة الجيوش ، بل يجب أن يهتم قبل كل شيء ، بتاريخ منتجي الحوائج المادية ، تاريخ الجماهير الكادحة، تاريخ علاقات الانتاج بين المستغلين والمستغلين في كل عهد .

ان هذا الكتيب هو عرض موجز للمراحل الرئيسية في تاريخ المجتمع البشري ، على ضوء نظرية المادية التاريخية .

النشر والتوزيع في الاقطار العربية

دار دمشق

بيروت ـ شارع سوريا ـ بناية صمدي وصالحة ص.ب ٨٧٢٧

دمشق : شارع بورسعيد هاتف ١١١٠٢٢

السعر ٢ ل.س